وثيقة تحالف القبائل العربية الستة والعشرين بفرشوط إقليم جرجا

تُعد الوثيقة (المخطوطة) المملوكة لأحد أفراد قبيلة هوارة والتى أبرمها شيخ مشايخ هوارة "همام بن يوسف" مع ستة وعشرون قبيلة فى الصعيد؛ لتكون أشبه بتحالف ضد المماليك سَنة ١١٥٩هـ كواحدة من أهم الوثائق التى تبين أن الازدهار والأمجاد التى تحققت فى تلك الفترة من المستحيل ردها إلى أسرة الشيخ همام وحدها أو لقبيلة بعينها، لكن هو تاريخ شاركت فى تسطيره جميع القبائل وجاء بنص الوثيقة[1]، ملحق (٤) عرض بعض أسماء المشايخ (إن جميع الموقعين عليها أشهدوا على أنفسهم الجميع وهم بحال الصحة والسلامة والطواعية والاختيار من غير إكراه لهم فى ذلك ولا إجبار وبصحة بحور الاشهاد الحق، وكل من حصل منه خلف ذلك يكون الجميع عليه والذى يمشى مع الحاكم وساعده فى خراب وإحداث مفسدة من سفك دم أو غرم مالى يكون ذلك مطلوبا منه حاكمًا أو عربيًا وذلك بحضرة كل عربان،...)، وبنهاية الوثيقة (هذا ما توافقوا وتراضوا عليه مشهدين على أنفسهم بذلك وأذن عليهم فى الاشهاد يكونون على قلب رجل واحد) انتهى. ووقع على الوثيقة عشرة من مشايخ القبائل المتحالفة.

لذلك يتبين أن الشيخ همام قام بتأسيس أشبه ما يكون بنظام جمهورى وهو الأول فى تاريخ مصر بالمفهوم الاشتراكى ومن هنا استطاع أن يتزعم عرب الصعيد وينشئ علاقات واسعة ومتعددة مع حكام مصر وعلمائها ومع

(١) منشور بجريدة الوفد المصرية، بعددها رقم ٧٣٣٤، السنة ٢٤، ١٩من رمضان١٤٣١هـ ملحق (٣).

الدولة العثمانية نفسها كما ذكر الرحَّالة (Bruce) الذى زار الشيخ همام سَنة ١١٨٣هـ/١٧٦٩م، أن الشيخ همام كان على صلة طيبة بالدولة العثمانية نفسها، وكان يطلب منها ما يريد مباشرة مما أثار عليه غيرة بكوات القاهرة مجددًا ما كان من طيب العلاقات بين أجداده وبين الدولة العثمانية[١].

كان لثراء الشيخ همام أثره البالغ على إصلاح الجسور وصيانة الترع، والإنفاق على العلماء والمساجد ومن هذه الأمثلة ما ورد بوثيقة وقف شيخ مشايخ هوارة همام بن يوسف الخاصة بتجديد مسجد عبدالرحيم القنائى[٢]، ملحق (٥) وجاء بنص الوثيقة (وقرر أنه جدد مسجد ومقام السيد عبدالرحيم القنائى وأنشأ خلفهما مخزن التى كانوا اجداده موقفون لهم ولا زالوا يشتهروا بوقفهم للآن بناء على مساحة طولها ستة وعشرين متراً وعرضها تسعة عشرة متراً وأوجد أمامهم دورة ماء تحتوى على ميضة ومغطس ومحلات للخلاء وأنه أوقف المسجد والضريح والمخزن والدورة الواقعين بجبانة المسلمين أرضهم وبنائهم وأبوابهم وأعتابهم وأخشابهم علوهم وسفلهم وما يُعرف بهم وينسب إليهم وقفاً صحيحًا شرعياً تامًا معتبرًا مرضياً وأنه واقف السجاد الذى فرشا به المسجد والضريح وهو يحتوى على خمسة عشر قطعة والثريات المركبة بهما المعدة للإنارة وعددها ثلاثون وعدد سبعة نجفات كبار من بللور كل منهم ذات عشرة فنابر للشميع (والسليط) واثنان وثلاثون شمعدان من نحاس وبللور وسبعة طبق نحاس وثلاثون مصحف قرآن بخط

(١) ليلى عبداللطيف أحمد، الصعيد فى عهد الشيخ العرب همام ،١٩٨٧م، صـ ١٠٥.
(٢) وثيقة وقف (٢) صادرة من محكمة قنا فى١٢ شعبان ١١٣٦ هـ دار الوثائق القومية

ستامبولى (بليقة) ذهبية وستون مجلاً فى فقه المذاهب الأربعة والمنطق والبيان والتوحيد والتصوف وقصة مول المصطفى صلوات الله وسلامه عليه وقصتان للمعراج وأعد هذا المسجد والمقام والمخزن والدور ة وما تبعهم المجدد بناهم لإقامة شعائر الدين الإسلامى من إقامة الصلاة وتلاوة القرآن وذكر أسماء الله والاحتفالات بمولد الشيخ ومولد جدنا المصطفى صلوات الله وسلامه عليه وليلة الإسراء والعيدين وجعل كل ما أوجده بهذا المسجد والضريح والمخزن والدورة وذكر قبلا وقفا لله تعالى تحت تنظره إشراف وحق له أن يعين الخدم اللازمة لهم وفصلهم فى حالة ما إذا كان يجد منهم عدم القيام بما هو واجب عليهم أداؤه والحق هذا النظر بعده لأولاده ،..... وحرر فى تاريخه ثانى عشر شهر شعبان سنة١١٧١ إحدى وسبعين ومائة وألف من الهجرة).

وكذلك أوقف الشيخ همام بن يوسف ٤ فدان لإطعام المرضى و ٢٧ فدان لأعمال الخير بفرشوط[١]، وتميزت تلك الفترة بزيادة التزامات هوارة عامة والشيخ همام خاصةً من أراضى الإقليم من المنيا شمالاً حتى أسوان جنوبًا بالشراء وأخرى بالرهن وغيرها من مراحل تحول الالتزام، وكان له ديوان يُورد إليه غلال المتعهدين والملتزمين من جهات مختلفة من الصعيد[٢].

وصل شيخ مشايخ هوارة همام بن يوسف والذى يُعد كسلطان غير متوج إلى نفوذ ومكانه عالية فى الصعيد، واستمد ذلك من عصبيته القبلية الهوارية

(١) توفيق الطويل، التصوف فى مصر إبان العصر العثمانى، صـ ١٦١.

(٢) سجلات محكمة قنا محفظة رقم ١ وثيقة بدون رقم بتاريخ جمادى ١١٨٠هـ / ١٧٦٦ م – المرجع السابق د. صلاح هريدى صـ٢٥٧.

وثرائــه فصار الحاكــم الفعلى فى الصعيد بالرغم من بقــاء الصورة الظاهرية للحكم العثمانى لمصر، وكان يحكم ولايات الصعيد ولم تكن القوات العثمانية لتتغول فى بلاده مطلقًا، بل كان من النادر ظهور الأتراك فى القرى الخاضعة لالتزامات هوارة[1] وكانت احتياطاته تهدف إلى إقامة حكومة تقى بلاده من مظالم الأجنبى، وســيطر الشيخ همام على مســالك التجارة بالصعيد وخاصة بقــنــا حيث طريق القصير الذى كان يتــم عن طريقه نقل جانب من التجارة الهندية إلى مصر، ولقد عهد الشــيخ همام خفارة وحراسة السكة الحجازية مــن قفط إلى القصير لقبيلــة العليقات لتأمين قوافل الحــج والتجارة[2] وكان يساهم فى موكب الحج ويرسل الهدايا للحجاج وأرسل فى إحدى المرات ٣٠٠ حمل والعديد من المأكولات[3].

ولقد وجد الأمراء المماليك اللاجئين إلى الصعيد فرارًا من وجه منافيسيهم ملاذا وحفاوة فاســتُقبلَ على بك الكبير الذى لجأ إلى حمى الشــيخ همام طلباً منه أن يصلح بينه وبين زميله صالح بك القاسمى حتى اقتنع صالح بالانضمام إلى صفــوف على بك[4]، عاش الصعيد عصرًا ذهبيًا فى عصر الشــيخ همام بن يوســف آخر أمراء هوارة ووصفته المصادر بأنه عظيم بلاد الصعيد، ومن كان خيره وبره يعم القريب والبعيد وقد جمع فيه من الخصال ما ليس فيه لغيره

(١) علماء الحملة الفرنســية، تأليف، ترجمة الزهير الشــايب، وصف مصر، دار الشايب للنشر، جـ٢، صـ ٩٨.

(٢)أحمد لطفى، قبائل العرب فى مصر، القاهرة ١٩٣٥ م، صـ ٨٥

(٣) المرجع السابق، د. صلاح أحمد هريدى، ص ٢٢٩.

(٤) ليلى عبداللطيف، الصعيد فى عهد الشيخ همام، صـ ٢٥٦.

مثال[١]، وقد أمدَّ الشيخ همام القاهرة بحوالي١٥٠ألف أردب من القمح، ونال مقابل ذلك مطلق السلطة فى جباية الضرائب وحكم المنطقة[٢]، وأيضًا تبين من الوثائق قيام الشيخ همام بشحن ٢٨٠ أردب عدس، و١٠٠ أردب غلال إلى القاهرة[٣]، ومن مظاهر اهتمام شيخ العرب همام بالتعليم بناء مدرسة بإسنا كم جاء بسجل الإشهاد الشرعى بمحكمة إسنا فى سَنة ١١٧٧هـ[٤].

ويُذكر أن سيطرة ونفوذ هوارة انتهى على يد على بك الكبير الذى اتبع سياسة القضاء على العربان فى مصر حتى لا يشكلوا خطرًا على سيادته، وعقب التخلص من صالح بك بدأ بتوجيه حملة كبيرة بقيادة محمد بك أبى الدهب لنزع نفوذ الأمير همام من سيطرته على الأراضى شمال برديس إلى المنيا، وامتثل همام للمصالحة على أن تقتصر منطقة نفوذه التى كان يتركز فيها الهوارة من جنوب برديس وفى قنا وأسوان وليس الصعيد كله[٥].

قام الأمير همام بعمل إيجابى ولجأ إلى الأمراء المماليك خصوم على بك لتحريضهم عليه واتفق معهم على أن يتقدموا للاستيلاء على أسيوط وانتزاعها من أتباع على بك وأمدهم بالرجال من كبار هوارة وسيطروا عليها، على الفور قرر على بك إرسال جيشاً ضخمًا لمواجهة نفوذ الولاية الهوارية وبدأها

(١) الجبرتى، عجائب الآثار فى التراجم والأخبار، جـ١، حوادث ١١٨٣ه /١٧٦٩ م صـ ٣٤٤.
(٢) هيللين ريفللين، ترجمة د. احمد عبدالرحيم مصطفى، الاقتصاد والإدارة فى مصر فى مستقبل القرن التاسع عشر دار المعارف، القاهرة ١٩٦٧م، صـ ٤٤.
(٣) سجلات محكمة قنا محفظة رقم (٢) وثيقة بدون رقم بتاريخ ١١٣٩هـ / ١٧١٦ م – المرجع السابق د. صلاح هريدى، صـ٢٥٦.
(٤) أحمد عبدالنبى الدعباسى، كناشة الدعباسى، يسطرون للطباعة والنشر، صـ ٢٠٥.
(٥) الصعيد فى عهد الشيخ همام صـ ١٤٤.

بسلاح الخيانة، وهو إمالة ابن عم الأمير همام إلى صفوفه وإغرائه بالولاية والرياسة[1].

وعندما علم بذلك الأمير همام حزن وترك مقر ولايته فرشوط ومات – رحمهُ الله تعالى – قرب إسنا فى ٨ شعبان سَنة ١١٨٣هـ/١٧٦٩م، وتمكنت قوات على بك من هزيمة قواته[2] ودخل محمد بك وجيشه فرشوط ونهب ما بها من أموال لهمام وما كان بدياره وديار أقاربه من ذخائر وغلال ورجع بها إلى القاهرة ومعه أحد أبناء همام الشيخ درويش وما لبث أن تم العفو عنه وإنزله على بك منزلاً بجواره وأبقى الولاة من المماليك على التزام أراضى فرشوط وغيرها لبعض أفراد هوارة بولاية جرجا وتوابعها ولغرض تقربهم إلى النظام وعدم حدوث أى ثورات تجاه الوالى.

ويشار إلى أن وقف السادة أمراء هوارة ظل لأفراد معينين للهمامية وما يطلق عليه بالوقف الأهلى كما جاء بأحد الوثائق[3] وهى عبارة عن استلام الأمير عبد المغيث محمد الرشيد أبوالمكارم حارث الإسلام والأمير همام أحمد همام صبيح والأمير درويش همام يوسف أحمد همام صبيح واشهدوا على أنفسهم أنهم استلموا من ناظر الوقف أبو على سليمان الهوارى مبلغًا وقدره (٩٢١ ألفًا) ريال ذهبى من أصل أربعة وعشرون قيراط بوقف السادة الهمامية، واحتفظوا هؤلاء الأمراء بالثراء لفترات وتبين ذلك من وثيقة زواج الأمير عبد المغيث ملحق (٦).

(١) المصدر السابق للجبرتى، جـ ١ صـ ٣٣٦

(٢) على بك الكبير، القاهرة ١٩٥٠، صـ ٤٤

(٣) سجلات محكمة قنا، محفظة رقم ١ بالوثيقة رقم ١٣ بتاريخ ذى القعدة المحرم عام ١٢٢هـ/١٨٠٦م – المرجع السابق، د. صلاح هريدى، دور الصعيد فى مصر العثمانية، صـ ٣٥٨.

وجاء وصف علماء الحملة الفرنسية بأن مصر العليا كانت تنعم بالسعادة فى عهد حكومة شيخ العرب همام فجميع السكان المصريين أثرياؤهم وفقراؤهم مسلموهم وأقباطهم كانوا يقدسون ذكراه وليس هناك من لا يتحدثون عنه، مع التعبير بالأسف على الأمن الذى أقامه والصيانة التى بذلها لصيانة الترع والجسور وازدهار الزراعة[1].

وتأثرت الأحوال الاقتصادية بعد إزاحة ولاية شيخ العرب همام وصار الصعيد مرتعًا للأمراء المماليك الفراين حيث منعوا الغلال عن القاهرة[2] وقت أن كان حسن بك أميراً على جرجا فى سَنة ١١٩١هـ/١٧٧٧م، ولم يستطع مقاومتهم وظل الإقليم فى دوامة الصراع المملوكى تارةً باتحاد بعضهم وآخر مع عربان الهوارة والجعافرة، وقام مراد بك الذى وليَّ مصر بإرسال تجريدة إلى الصعيد وانتصر على الأمراء الفارين.

وأخيرًا أرسلت الدولة العثمانية حملة بقيادة حسن باشا سَنة ١٢٠٠ هـ -١٧٨٦ م وهزم مراد بك وإبراهيم بك، وجاء القضاء على الحكم العادل لشيخ العرب همام، وقد أسلم الصعيد اللى نفس طغاة مناطق مصر الأخرى[3].

(جـ) قرية الحميدات

ظهرت تسمية قرية الحميدات بدلًا من اسم جزيرة الحميدات بتعداد نفوس القطر المصرى فى سنة١٨٩٧م، وتم تقسيمها إدارياً إلى نجوع طبقًا لنشرة نظارة الداخلية والواردة بتعداد نفوس القطر المصرى كما سيأتى لاحقاً.

(١) المرجع السابق، ترجمة الزهير الشايب ،دار الشايب للنشر، وصف مصر، جـ٢، ص ٣٥، ٣٦.
(٢) د. صلاح هريدى، دراسات فى تاريخ مصر الحديث والمعاصر، ١٩٩٧م، صـ ٢٥٧.
(٣) المرجع السابق، وصف مصر، جـ٢، صـ ٩٨.